التَّضمِـــينُ وَأَثَـرُهُ في المَعنى وَالإعـــرَابِ

دِرَاسَـةٌ تَطبِيقِيَّةٌ نَحوِيَّةٌ لُغوِيَّةٌ دلاليَّةٌ

عَلَى نَمَاذِجَ مُختَارَةٍ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ

إعـداد الباحثة:

شيماء محمد توفيق بركات

بإشـــراف:

أ.د/ فريدة حسن معاجيني

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

الملخص

تتناول هذه الدراسة ظاهرةً من الظواهر اللغوية في النصوص العربية، وهي ظاهرة التضمين، وأثره في المعنى والإعراب. وذلك في قالبٍ تطبيقيٍّ مادته نماذجُ مختارةٌ من القرآن الكريم. فمن المعلوم أنَّ نشأة الدراسات اللغوية العربية بفروعها إنما ربت لنزول القرآن الكريم باللغة العربية، وتعدد معاني سياقاته ودلالات ألفاظه. وظاهرة التضمين إحدى الظواهر اللغوية الشائعة في كتاب الله – عزَّ وجلَّ – التي تناولها العلماء بالدرس والتعليل على نحوٍ دقيقٍ واسعٍ. وقد كان ذلك متفرِّقًا في كتب التفسير، والقراءات، والمعاجم اللغوية، والنحو والصرف، والبلاغة، وفقه اللغة. ويتجه البحث لدراسة ظاهرة التضمين وأثره في المعنى والإعراب في القرآن الكريم خاصَّةً بوصفه عاملًا عظيمًا من عوامل إرفادِ المعنى والتوسع فيه؛ ولغرض الوصول إلى جملةٍ من الأهدافِ، أهمُّها: رصدُ مظاهر التضمين في نماذج عدَّةٍ من القرآن الكريم، وبيان كيفية تأثيره في المعنى بأنواعه: المعجمي والصرفيِّ والوظيفيِّ. وقد توصَّلت الدِّراسةُ إلى جملةٍ من النتائجِ، منها: أنَّ التضمين من الظواهر اللغوية الشائعة في كتاب الله – عزَّ وجلَّ –، وأنَّ التضمين ينبني على تغيُّرِ المعنى بأنواعه: المعجميِّ والصرفيِّ والوظيفيِّ، وأنَّه ينبني على أنواع التغير هذه أحكامٌ معنويَّةٌ أو إعرابيَّةٌ، أو معنويةٌ إعرابيَّةٌ معًا. وأنَّ التضمينَ والاشتراكَ اللغويَّ وجهانِ لموضوعٍ واحدٍ، وإن كان الأوَّلُ أدخلَ في النَّحو، والثاني أدخلَ في اللُّغة.

الكلمات المفتاحية: التضمين الدلالي – معنى – بناء الجملة – الظواهر اللغوية – القواعد الدلالية

Taḍmīn (Semantic Inclusion): Its Impact on Meaning and Grammatical Function: An Applied Grammatical and Semantic Study on Selected Examples from the Holy Qurʾān

By: Shaimaa Muhammad Tawfiq Barakat
zabdullah.g@gmail.com

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

Abstract

This study tackles a linguistic phenomenon of the Arabic language, which is *taḍmīn* (semantic inclusion), and its impact on meaning and grammatical function, applying it to selected examples from the Holy Qurʾān. It is known that Arabic linguistic studies, with their various branches, emerged mainly in relation to the Holy Qurʾān, which was revealed in Arabic, with its layers of contextual meaning and lexical denotations. The phenomenon of *taḍmīn* or semantic inclusion is commonplace in the Holy Qurʾān, discussed extensively and scrutinized thoroughly by scholars. However, that heritage was scattered across books on Qurʾānic exegesis, Qurʾānic readings, as well as in lexicons, syntax, morphology, rhetoric, and philology literature. The research aims to study the phenomenon of semantic inclusion and its impact on meaning and grammar, specifically in the Holy Qurʾān, being a great linguistic source of the nuances of meanings. The most important objective of the study, among others, is to track the instances of semantic inclusion in several examples in the Qurʾān, illustrating how they affect the meaning on a number of levels: lexically, morphologically, and functionally. The study reaches several findings, including the following: semantic inclusion is a commonplace linguistic phenomenon in the Qurʾān; it leads to changing the meaning based on lexical, morphological, or functional elements; each kind of these changes leads in turn to certain syntactic or sematic rules; together with it, there is also the similar linguistic phenomenon of polysemy, the former being more treated in syntax, whereas the latter is more of semantics.

Key words: semantic inclusion – meaning – syntax – linguistic phenomena – semantic rules

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربِّ العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه عدد ما خلق وملء ما خلق، وعدد كلِّ شيء وملء كلِّ شيء، وعدد ما أحصى كتابه وملء ما أحصى كتابه، وعدد ما في السموات وما في الأرض، وملء ما في السموات وما في الأرض، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين، آمين.

سعى علماء العربية الأولون إلى جمع لغة العرب واستقرائها لملاحظة ظواهرها، ثم التقعيد لتلك الظواهر بناءً على مسبباتها ومقتضياتها وتأثيراتها، وكان مما لاحظوه ظاهرة الإعراب في كلم العربية، وأنَّ هذا الكلم ينقسم إلى أقسام ثلاثة، تتسلط بعضها على بعض، ويعمل بعضها في بعض، فقالوا : بالتعدِّي، واللزوم، والإعمال، والإهمال، والتَّصرُّف وعدمه، والاشتقاق والجمود، و...، وقسَّموا بناء على هذا الأسماءَ إلى جامدةٍ ومشتقَّةٍ، وعاملةٍ وغيرِ عاملة، والأفعالَ إلى متعدِّيَةٍ ولازمة، ومتصرفةٍ وغير متصرِّفة، و...، والحروف إلى عاملةٍ وغير عاملة، ومتعلقة وغير متعلقة، و...، فما خرج ممَّا يعمل منها عن عمله ومعناه إلى عملٍ ومعنىً آخر، أو عن معناه دون عمله إلى معنى آخر قالوا فيه بالتضمين.

فالتضمين واقعٌ في الأفعال والأسماء والحروف. والتضمين هو: إشراب لفظٍ معنى لفظٍ آخر؛ وإعطاؤه بذلك الإشراب حكمه(١). وهذا كما في قوله سبحانه: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾(٢). فالفعل (يشرب) إنما يتعدَّى – في الأصل – بـ (مِنْ) ولكنَّه لما ضُمِّن هنا معنى (يُرْوَى) تعدَّى بالباء، أو أنَّ الباء هي التي ضُمِّنت معنى (من) والفعل على أصل

(١) ينظر : ابن هشام الأنصاري ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق : محمد عبد الحميد (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٧هـ) ، ٢-٧٩١ .

(٢) سورة الإنسان ، آية : ٦ .

معناه[1].

ولمَّا كان التضمين ينبني على تغيُّر المعنى، وما يترتَّب على هذا التَّغيُّر من حكم كان تناول موضوعه من حيثيتين: حيثية أنواع المعنى؛ فالمعاني المُضَمَّنة إمَّا معجميَّة، وتكون بإشراب اللفظ معنى مادة لفظ آخر، كإشراب الفعل (يَشْرَب) معنى الفعل (يُرْوى)، وإما صرفيَّة، وتكون بإشراب اللفظ صيغةً أخرى يأخذ بها حكمها، كإشراب (جَلَسْتُ) صيغة المشاركة (فاعل) فيصير (جالست)، فيتعدَّى بها إلى ما تتعدَّى به الأفعال الآتية على هيئتها. وإمَّا وظيفيَّة، وتكون بإشراب اللفظ معنىً وظيفيًّا يأخذ به حكمه، كإشراب (ضرب) في نحو: ضرب زيدٌ عمرًا معنى المفعولية، فيصير: عمروٌ مضروبُ زيدٍ، أو : عمروٌ مضروبٌ من زيد. والحيثية الأخرى: حيثية أنواع التأثير، فمن التضمين ما يؤثِّر على المعنى والإعراب، كما في قوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [2]. فالفعل (جعل) يتعدى لاثنين، غير أنَّه لما ضُمِّن معنى (خلق) لم يتعدَّ إلا لواحد[3]. ومن التضمين ما يؤثِّر على المعنى دون الإعراب، كما في قوله سبحانه: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [4]. فالفعل (أحسن) إنما يتعدَّى بـ (إلى)، ولكنَّه لَمَّا ضُمِّن هنا معنى (لَطَفَ) عُدِّي بالباء[5]، وهو تضمين مؤثِّر على المعنى دون الإعراب.

(١) ينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، ٨-٥٥٢.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١ .

(٣) ينظر: السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق: علي معوض وآخرين ، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٤هـ) ، ٣-٣.

(٤) سورة يوسف، آية : ١٠٠ .

(٥) ينظر : الصبَّان ، حاشية الصبان على شرح الأشموني (القاهرة : دار إحياء التراث العربي) ، ٢-٩٥.

هذا وإنَّ علماء العربية قد تناولوا (التضمين) بأنواعه: النحوي واللغوي والبلاغي كظاهرةٍ شائعةٍ في اللسان العربيِّ عمومًا، وظاهرةٍ شائعةٍ في النصوص المعتبرة خصوصًا، وأهمُّها النصُّ القرآنيُّ، ثمَّ النصُّ الحديثيُّ.

هذا وإنِّي في هذه الدراسة أتناول موضوع التضمين اللغوي النحوي وأثره على المعنى والإعراب في نماذجَ مختارةٍ من كتاب الله عزَّ وجلَّ.

وقد أنشأت هذه الدراسة في مبحثين اثنين: أولهما: التضمين المؤثِّر في المعنى والإعراب، وجعلته في محاور ثلاثة، أولها : التضمين المؤثِّر في المعنى والإعراب في العوامل ومعمولاتها (الأفعال وما تعلَّق بها من الحروف). وثانيها: التضمين المؤثِّر في المعنى والإعراب في العوامل (الأفعال). وثالثها: التضمين المؤثِّر في المعنى والإعراب في المعمولات العاملة وما تعلَّق بها من الحروف. وثاني المبحثين: التضمين المؤثِّر في المعنى دون الإعراب. وجعلته في محاور ثلاثة مناظرة للتي في المبحث الأول.

وبما أنَّ تناولي لموضوع الدراسة تناولًا تطبيقيًّا مختارًا فإنِّي تخيَّرْتُ مما ورد من أفراد ظاهرته في كتاب الله – عزَّ وجلَّ – نماذج معدودة، جاء تصنيفها بحسب ما جاء من تقسيمٍ في المبحثين ومحاورهما.

وقد كان معتمدي فيما رجعت إليه في موضوع هذه الدراسة كتبُ تفسير القرآن الكريم. مثل: البحر المحيط لأبي حيان، والكشاف للزمخشري: إلى جانب كتب معاني القرآن وإعرابه. مثل: معاني القرآن للنحاس، وإعراب القرآن للنحاس، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج. وكتب إعراب القراءات. مثل: إعراب القراءات الشواذ للعكبري. بالإضافة إلى المعاجم اللغوية، كاللسان لابن منظور، والصحاح للجوهري. وكتب النحو. كشرح الأشموني لألفية ابن مالك، ومغني اللبيب لابن هشام.

هذا وأسأل الله – سبحانه – أنْ يبارك لي في عملي وينفع به. .....شيماء محمد توفيق

تمهيـــــد

قبل الشروع في تناول مَبْحَثيِ هذه الدراسة ومحاورهما لابدَّ من تبيين معاني ما اشتمل عليه موضوعها (عنوانها) من مصطلحات.

فأمَّا التضمين فإنه: إشراب كلمةٍ معنى كلمةٍ أخرى فتؤدِّي وظيفتها في التركيب"[1]. أو أنَّه: "أنْ تُحمِّل اللفظ معنىً غير الذي يستحقُّه بغير آلةٍ ظاهرة"[2]. أو أنَّه: إشراب لفظ معنى لفظ آخر، بحيث تؤدِّي اللفظة المشربة مؤدَّى اللفظين معًا [3].

وأمَّا الإعراب فإنَّه -كما هو معلوم- الإفصاح والبيان والإيضاح [4]، وفي النحو: الإبانة عن المعاني بالألفاظ "[5]. وإذا ما أُريد الجمعُ بين التضمين والنحو جمعَ تعليق قيل: العلاقة بين النحو والتضمين: الإبانة عن المعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة، أو: الإبانة عن المعاني البعيدة بالألفاظ القريبة، أو: الإبانة عن المعاني المتضاعفة بالألفاظ المحدودة.

ويقع التضمين في أقسام الكلم الثلاثة: الأسماء، والأفعال، والحروف، أي: في العوامل وما عملت فيه، أو في العوامل دون ما عملت فيه، وفي المعمولات العاملة، وما عملت فيه، وفي المعمولات غير العاملة، أسماءً كانت أو حروفًا.

هذا وقد تنوَّعت التآليف في التضمين، بحيث تَنَاوَلَتْهُ لُغويًا، ونحويًا وبلاغيًا، في إطارٍ تنظيريٍّ

---

(١) ينظر : ابن جني ، الخصائص ، تحقيق: محمد النجار (بغداد: دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٠م) ، ٢-٢١٠.

(٢) ينظر : جلال الدين السيوطي ، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: محمد الفاضلي (بيروت: المكتبة العصرية ، ٢٠٠٩م) ، ١-١٠٦.

(٣) ينظر : أحمد حامد ، التضمين في العربية (عمان: دار الشروق ، ١٤٢٢ه) ، ٤٣.

(٤) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت: دار صادر) ، ٨٣ ، مادة "عرب" .

(٥) ينظر : المرجع السابق.

موجَزٍ، أو على نحوٍ تطبيقيٍّ مُطْنَبٍ فيه.

وإنِّي في تناولي لموضوع التضمين في هذه الدراسة -أتناوله لغويًا ونحويًا على نحوٍ تطبيقيٍّ مفصَّلٍ، فيما اخترته من نماذج قرآنيةٍ كريمةٍ.

المبحث الأول
التضمين المؤثّر في المعنى والإعراب

المحور الأول: التضمين المؤثِّر على المعنى والإعراب في العوامل ومعمولاتها (الأفعال وما تعلّق بها من الحروف).

- في قوله – سبحانه -: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[١].

الأصل في الفعل (يشرب) أنَّه يتعدَّى بنفسه، فيقال: شرب زيدٌ عسلًا، فإنْ كان في الآية كذلك فإنَّه قد جاء محذوف المعمول للاقتصار والتوفُّر على إثبات الفعل للفاعلين (الشرب للمؤمنين) [٢]، والهاء حينئذٍ إما راجعةٌ إلى (العين)، والباء للإلصاق والمعنى: يشرب عباد الله الخمر بالعين. كما يقال: شربت الماء بالعسل [٣]، وإمَّا راجعةٌ إلى (كأس)؛ فالباء للإلصاق أو الاستعانة [٤]، والمعنى "كأسًا يشرب بها عباد الله الخمر"[٥].

وإنْ لم يكنْ المعمول مقصودًا أصلًا فالفعل (يشرب) منزَّلٌ منزلة اللَّازم والهاء في (بها) عائدةٌ إلى (عين)، وهذا على تضمين الباء معنى (من)؛ كقولهم: شربتُ من العين [٦].

---

(١) سورة الإنسان، آية: ٦.

(٢) ينظر: عبد القادر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط١ (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٨م) ، ١٥٦.

(٣) ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٧هـ)، ١-١١٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق.

(٥) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٦م) ، ٤-٥٠٤.

(٦) ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ٨-٥٥٢ . الجرجاني، دلائل الإعجاز (بيروت: دار المعرفة ، ١٩٨٤م) ، ١٥٤.

غير أنَّ الفعل يشرب قد يكون مستقلًّا بمَّا يُعبِّر عنه، أي بتعبيره عن الشرب من دون الكأس، وأنَّه قد عُدِّي بالباء لَمَّا ضُمِّن معنى (يُرْوى)، فالمعنى: عينًا يُرْوى بها عباد الله[1]، وجاء التضمين به لإفادة معنى الاكتفاء مضافًا إلى معنى العَبِّ. ويصحُّ أنْ يكون التضمين في (يَشْرب) لمعنى الفعل (يتلذَّذ)؛ وذلك أنَّ أهل الجنة لا يعطشون فلا يُعبَّر عن شربهم بالروي، فأكلهم وشربهم إنَّما هو للتلذُّذ والتنعُّم، وعلى هذا فإنَّ تقدير التضمين بـ (يتلذذ) أولى[2].

المحور الثاني: التضمين المؤثِّر على المعنى والإعراب في العوامل (الأفعال).

أوَّلًا: في قوله – سبحانه –: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3].

- موضع التضمين (ختم).

جاء لفظ (غشاوة) في الآية الكريمة بحالات ثلاث، إحداهن: حالة الرفع على أنَّه مبتدأ خبره (على أبصارهم)، وجملة المبتدأ وخبره مستأنفةٌ من بعد جملة الفعل ومعمولاته وما عُطف عليها[4]. غير أنَّ لفظ (غشاوة) إنْ جُعِل بمعنى فِعْلِهِ (غشَّى) فإنَّ التقدير –على الاشتغال يكون بـ: وعلى أبصارهم غشَّى، وتكون جملة المعمول المقدَّم وعامله المؤخَّر على مقابلة الجملة التي قبلها في المعنى: ختم الله على... وعلى... وعلى أبصارهم غشَّى [5]. فهو من قبيل عطف

(١) ينظر : أبو حيان ، المرجع السابق .

(٢) ينظر : أحمد حامد ، التضمين ، ٤٢٧ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٧.

(٤) ينظر : النحاس ، إعراب القرآن ، تحقيق: محمد تامر ومحمد رضوان ومحمد عبد المنعم (القاهرة: دار الحديث ، ٢٠٠٧م) ، ١ –٢٨. الزمخشري ، الكشاف ، ١ –٥٤.

(٥) ينظر: أبو حيان ، البحر المحيط ، ١ –٨٥ .

الجمل المتقابلة [١] .

والثانية: حالة النصب، وهي على تضمين الفعل (ختم) معنى الفعل (جعل)، ويكون تقدير المعنى: جعل الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوةً [٢]، ويكون تعلُّق الجارَّ والمجرور (على أبصارهم) بما يتعلَّق به ما قبله (على قلوبهم وعلى سمعهم)، وهو الفعل (ختم) المضمن معنى (جعل). ويدلُّ على هذا نصُّ الآية الكريمة: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

والثالثة: حالة الخفض، بتقدير خافضٍ محذوفٍ (بغشاوة)، وفيها يكون الفعل على معناه، وأشباه الجمل مُتَعَاطِفَةٌ كلُّها، و (بغشاوة) إجابةٌ عنْ سؤالٍ مقدَّرٍ بـ: بأيِّ شيءٍ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم؟ [٤].

وبيِّنٌ ما في تقدير تضمين (ختم) معنى الفعل (جعل) من زيادة تأكيدٍ وتثبيتٍ لمعنى الختم؛ وصفًا لحال المعاندين المكذبين، أو حكايةً لما كانوا يقولونه عن أنفسهم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [٥].

ثانيًا: في قوله - سبحانه -: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: النحاس ، مرجع سابق ، ١-٢٨. أبو حيان ، البحر المحيط ، ١-٨٥ .

(٣) سورة الجاثية ، آية ٢٣.

(٤) ينظر: العكبري ، إعراب القراءات الشواذ ، تحقيق: محمد عزوز ، ط١ (بيروت : عالم الكتب ، ١٤١٧هـ) ، ١-١١٨. السمين الحلبي ، الدر المصون ، ١-١٠٦.

(٥) سورة فصلت ، آية : ٥.

يَشْعُرُونَ﴾ (١).

- موضع التضمين (يخدعون).

الأصل في الفعل (خدع) أنَّه يطلب مفعولًا واحدًا يتعدَّى إليه بنفسه، فيقال -مثلًا-: خدع زيدٌ عمرًا. إذا أظهر له خلاف ما يخفيه(٢)، أو أوهمه خلاف ما يريد به من المكروه(٣)، ولكن لما جاءت (النفس) وهي ذات الشيء وحقيقته مكان المفعول به لم يَجُزْ أنْ تكون هي المفعول به لعدم صحَّة وقوع الخداع من النفس لذاتها أو من حقيقة الشيء لذاته ؛ فذات الشيء وحقيقته ونفسه واحد(٤)، وعليه إمَّا أنْ يكون الفعل (يخدعون) على معناه و (أنفسهم) تمييزًا أو مشبهًا بالمفعولِ به، أو منصوبًا بنزع الخافض، والتقدير: وما يخدعون إلا في أنفسهم أو عن أنفسهم(٥).

وإمَّا أنْ يكون الفعل (يخدعون) قد ضُمِّن معنى الفعل (ينتقصون) أو (يستلبون)، وحينئذ يكون (أنفسهم) هو المفعولَ به(٦).

وفي القول بتضمين (يخدعون) معنى (ينتقصون) أو (يستلبون) سَلامةٌ من القول بصدور الحدث من ذات الشيء وحقيقته وهما شيءٌ واحد، بالإضافة إلى ما في القول بالتضمين -هنا- من إفادة معنى النتيجة (الانتقاص) و (الاستلاب) منضافًا إلى معنى الوسيلة (الخداع)،

(١) سورة البقرة ، آية : ٩.

(٢) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٥-٢٨ ، مادة "خدع".

(٣) ينظر : الحلبي ، الدر المصون ، ١-١١٤.

(٤) ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ١-٨٥.

(٥) ينظر : المرجع السابق.

(٦) ينظر : إبراهيم الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ، ط١ (بيروت: المكتبة العصرية ، ٢٠٠٦م) ، ١-٤٥ . أبو حيان، البحر المحيط، ١-٨٥ .

منضافًا هو أيضًا إلى السبب المقدَّم به الآيات المسوقة في المنافقين وأبرز صفاتهم[١].

ومجيئه مضمَّنًا هذا المعنى كمجيئه كذلك في قول الشاعر[٢] :

وَأَصْبَحَ الدَّهرُ ذُو العِلَّات قدْ خَدَعَا.

أي: قد قَلَّ مطره فنقصت زكاته [٣]

ثالثًا: في قوله – سبحانه -: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [٤].

– موضع التضمين (زوَّجناهم بحورٍ)

الأصل في الفعل (زوَّج) أو (تزوَّج) أنَّه يتعدَّى بنفسه؛ فلا يحتاج لواسطةٍ (حرفٍ) يتعدَّى به [٥] فيقال: زوَّجتك كريمتي، أو : تزوَّجْ بنتَ فلان، ولا يقال: زوجتك بكريمتي، أو : تزوَّجْ ببنت فلان[٦]. وقد جاء الفعل (زوَّج) في الآية الكريمة متعدِّيًا بالباء لا بنفسه لَمَّا ضُمِّن معنى الفعل (قرنَّاهم) المتعدِّي بالباء، فالمعنى: وقرنَّاهم بحورٍ عين [٧].

وقد جاء تضمين (زوَّج) معنى (قرن) في الآية الكريمة تنبيهًا على أنَّ زواج أهل الجنة لا

(١) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٥٤.

(٢) جاء غير منسوب في اللسان لابن منظور، ٥-٢٩ ، مادة "خدع".

(٣) ينظر: ابن منظور، اللسان، ٥-٢٩، مادة "خدع".

(٤) سورة الدخان، آية : ٥٤.

(٥) ينظر: الخليل بن أحمد، الجمل في النحو، تحقيق: قمر الدين قباوة (بيروت: دار الذكر ، ١٤٢٨هـ) ، ٣١٥ . إسماعيل الجوهري، الصحاح، تحقيق: فخر الدين شهاب الدين أبو عمر (بيروت: دار الذكر، ١٤٢٨هـ) ، ١-٢٩٥، مادة "زوج".

(٦) وذلك أنَّ الزواج نوعٌ من التصيير والجَعْل (جعل المفرد زوجًا)، وكلٌّ من التصيير والجعل بتعدي بنفسه لا بالحرف، نقول –مثلًا: صيَّرته جَعدًا، ولا أقول بِجَعْدٍ، وأقول: جعلته تعبًا، ولا أقول بتعب.

(٧) ينظر : الجوهري ، مرجع سابق ، ١-٢٩٥ ، مادة "زوج".

كزواج أهل الدنيا الكائن بالعقد المفيد للحلِّ ؛ وذلك أنَّ الجنة ليست بدار تكليفٍ من تحريمٍ أو تحليلٍ(١).

ويَحْسُن بمتأوِّل المعنى هنا أن ينحو نحوًا آخر في مغزى التضمين في الفعل، بأن يجعل التضمين في (زوَّج) لمعنى (أكرم) أو (مَتَّعَ) اللذين يتعدَّيان بالباء(٢) فيقال –مثلًا–: متَّعتُ نفسي بها أحلَّ ربيِّ، وأكرمتُ نفسي بشيءٍ من الدُّلْجة(٣). بالإضافة إلى أنَّه أنسَب لسياق الإنعام والتفضيل من ربِّ العالمين؛ "فالزواج في الجنةِ إمتاعٌ وليس للمكرَم إلا أنْ يترقى في منازل الإكرام، ويعلو في مراتب المتعة حتى ينتهي إلى حيث تنقطع الأطماع"(٤).

المحور الثالث : التضمين المؤثِّر على المعنى والإعراب في المعمولات العاملة وما تعلَّق بها من الحروف.

أوَّلًا: في قوله – سبحانه –: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾(٥).

الاسم الشريف (الله) اسمٌ من أسماء الله – عزَّ وجلَّ –، والأسماء الجامدة لا تعمل سواءً أكانت منقولةً أم مرتجلة؛ فلا تتعلَّق بها الظروف(٦)، غير أنَّ تضمُّن لفظ (الله) معنى المشتق (المعبود) هو ما جعله يعمل في الجارِّ والمجرور (في السموات) فكان تعلُّقهما به(٧)، وذلك أنَّ أصل لفظ (الله) إلاه، أُدْخِلَتْ عليه (ال) التي للتعريف فصار الإلاه، ثم سُهِّلت الهمزة فصار

(١) ينظر : إسماعيل حقي الخلوتي البروسوي ، روح البيان، (بيروت: دار الفكر)، ٨-٤٣٠.

(٢) ينظر : محمد فاضل ، التضمين في القرآن الكريم ، ٣٨٥.

(٣) الدلْجة : السير في الليل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٥-٢٨٥ ، مادة "دلج".

(٤) محمد فاضل ، المرجع السابق ، ٣٨٥.

(٥) سورة الأنعام ، آية : ٣.

(٦) ينظر : الحلبي ، الدر المصون ، ٣-٦.

(٧) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٢-٥.

اللفظ (اللَّاه) بتحريك اللام من (ال) التي للتعريف، فلما التقى حرفان من جنسٍ واحدٍ (لامان) فأدغموا الأولى في الثانية فصار (الله)[١]. فالإله فِعَالٌ بمعنى (مفعول): مألوه، أي: معبود[٢]. قال الشاعر[٣]:

سبَّحْنَ واسترْجَعْنَ من تألُّهي

أي : تعبُّدي.

فالمعنى –في الآية الكريمة–: وهو المعبود في السموات وفي الأرض[٤]. وهذا كقوله سبحانه : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[٥]. ومثله قول العرب: زيدٌ السلطان في المشرق والمغرب. أي: الآمر الناهي الحاكم الوالي فيهما[٦].

ثانيًا: في قوله – سبحانه –: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٧].

الأصل في (فقير) أنَّه يتعدَّى بـ (من)؛ وذلك أنَّ الفقرَ خلوٌّ، فيقال: رجلٌ فقيرٌ من المال، أي: خالٍ منه [٨]. غير أنَّ (فقير) –هنا– قد تعدَّى باللام في (لِما) لَمَّا ضُمِّن معنى (طالب) أو

(١) ينظر : أبن منظور ، لسان العرب ، ١ –١٣٩ ، مادة "أله" .

(٢) ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ٢ –١٦٢٤ و ١٦٢٥.

(٣) رؤية : المرجع السابق.

(٤) ينظر : الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، ٢ –٢٥٠.

(٥) سورة الزخرف ، آية : ٨٤.

(٦) ينظر : عبد الحق ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ)، ٢ –٢٦٧.

(٧) سورة القصص ، آية : ٢٤.

(٨) ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ١ –٦٣٢.

(سائل)[1]. وذلك أنَّ موسى -عليه السلام- لما توجَّه تلقاء مدين وأصابه من الجوع ما أصابه تعرَّض لمن يُطعمه دون أنْ يُصرِّح بالسؤال [2].

وقد يكون التضمين واقعًا في (فقير) بأن أشرب معنى (محتاج)[3]، وفيما يتعلَّق به (اللام) بأنْ ضُمِّنت معنى (إلى)[4]. وهذا كقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[5]. أي: أنتم المحتاجون إلى الله [6].

وقد أفاد تضمين (فقير) في الآية الكريمة -معنى (محتاج) التلبُّس الآنيَّ بلازمته، وهي ضرورة إسعافه بما يغنيه، من المأوى، والمأكل، والمؤنس،... كما أفادت تعديتُه باللام الدلالةَ على قرب ما يطلبه من ربه -سبحانه- من خيرٍ، وقد رأى موسى -عليه السلام- الخير وعاينه وقعد إلى ظلِّ شجرةٍ بقربه، فهو يطلب من القريبِ -سبحانه- القريب من خيره. ففرقٌ بين قول: ذهبتُ إلى الشام وذهبت للشام، فالأول يدلُّ على طول المسافة بطول الحركة (الفتحة الطويلة، المد)، في حين دلالة الثاني على قرب المسافة بخلو الحرف من المدِّ.

ثالثًا: في قوله – سبحانه -: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾[7].

---

(١) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٣-٣٠٣.

(٢) ينظر : شهاب الدين الآلوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: السيد السيد وسيد عمران (القاهرة: دار الحديث ، ٢٠٠٥م) ، ٢٠-٣٥٨.

(٣) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ١١-٢٠٦ ، مادة "فقر" .

(٤) ينظر : الحسن المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد فاضل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ)، ٩٩.

(٥) سورة فاطر ، آية : ١٥.

(٦) رأي اجتهادي.

(٧) سورة ص ، آية : ٢٤.

- موضع التضمينٌ (بسؤال).

تقول العرب: سألته حاجةً ؛ فيتعدَّى -في كلامها- (سأل) إلى مفعولين اثنين دون واسطة[١] إلا لنكتة، وقد جاء في الآية الكريمة مصدرًا مضافًا إلى مفعوله؛ فتقدير المعنى : لقد ظلمك بسؤاله نعجتك مضافةً أو مضمومةً إلى نعاجه[٢].

غير أنَّ التقدير الآنف ذكره للتضمين في الآية الكريمة تقديرٌ عامٌّ، وإذا ما أُريدَ تخصيصُ وقوعه في ذات المصدر (سؤال) فإنَّه يقدَّر إمَّا بـ (طلب) الذي يتعدَّى إلى مفعوله بـ (إلى)[٣]، كما في قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " رسول الله أطلب إليَّ طِلْبَه"[٤]. وإمَّا بـ (ابتغاء) الذي يتعدَّى إلى مفعوله بـ (إلى) كذلك[٥]، كما في قوله سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[٦].

ولا شكَّ أنَّ في اللفظ المشرب معنىً مضافًا إلى معنى مادته أداءً أبلغ من أداء اللفظ المؤدِّي لمعنى مادته صِرفًا، وبإشراب (سؤال) معنى (ابتغاء) أو (طلب) ما يدلُّ على الإلحاح في السؤال، بدليل ما ذُيِّلت به الآية السابقة: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [٧]. بالإضافة

(١) وهذا إذا كان بمعنى الاستعطاء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٧-٩٧ ، مادة "سأل".

(٢) ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ٧-٥٢٢.

(٣) ينظر : محمد فاضل ، التضمين في القرآن الكريم ، ٣٨٦.

(٤) لم أجده في كتب الحديث ، وإنما أورده ابن منظور في اللسان ، ٧-٩٧ ، مادة "سأل".

(٥) ينظر : محمد فاضل ، المرجع السابق ، ٣٨٦.

(٦) سورة الإسراء ، آية : ٥٧.

(٧) سورة ص ، آية : ٢٣.

إلى أنَّ الفعل (سأل) قد أفاد بما فيه من تضمين معنى الغائية[1]، بالإضافة إلى إفادته الأصل (معنى الحدث) ؛ وعلى هذا فإنَّ تقدير المعنى: ظلمك بطلبه مبتغيًا ضمَّ نعجتك إلى نعاجه.

(١) الدلالة على معنى المفعول لأجله.

المبحث الثاني

التضمين المؤثر على المعنى دون الإعراب

المحور الأول: التضمين المؤثر على المعنى دون الإعراب في العوامل ومعمولاتها (الأفعال وما تعلّق بها من الحروف).

أوَّلًا: في قوله – سبحانه –: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

– موضعُ التَّضمين (اركبوا فيها).

الأصل في الفعل (ركب) أنَّه فعلٌ يتعدَّى بنفسه (٢). قال –سبحانه: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾(٣). فإذا عُدِّيَ كانت تعديته بـ (على)؛ لما فيه من الدِّلالة على الاستواء (٤). قال عزَّ وجلَّ: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾(٥). يدلُّ على هذا التعبير به مقابلًا للنزول؛ فيقال: ركبت على الدابة ونزلت عنها(٦). هذا إذا كان المركوب عليه مما لا يُدْخَل فيه، وإنَّما يُمتطى فحسب، فإذا كان المركوب مِمَّا يُدخَل فيه كالفُلك، جيء بـ (في) بعد (ركب) للدلالة على الدخول مع الاستواء (٧). ولذا فإنَّ (اركبوا) هنا قد ضُمِّن معنى الدخول مع الاستواء

(١) سورة هود، آية: ٤١.

(٢) ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ١٢-٣٤٤.

(٣) سورة النحل، آية: ٨.

(٤) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٦-٢١٠، مادة "ركب".

(٥) سورة الزخرف، آية: ١٣.

(٦) ينظر: الجوهري، الصحاح، ١-١٦٠.

(٧) ينظر: الآلوسي، مرجع سابق، ١٢-٣٤٤. فاضل، التضمين، ١٨١.

والاستعلاء؛ فتقدير المعنى في الآية الكريمة: وقال اِعْتَلُوها داخلين فيها. وعلى هذا فإنَّ التضمين في الفعل (اركبوا) قد أفاد معنى الأمر بالفعل مع الكيفية فيه. كما في قوله سبحانه: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ (١). أي: ادخلوه ساجدين (٢).

وَيَصحُّ أنْ يكون التضمين واقعًا في الحرف (في) بمجيئه بمعنى (على)(٣)، كما جاء بمعناها في قوله سبحانه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾(٤). أي: على جذوعها (٥). وقد جاء التعبير بها لإفادة الثبات في الحيز المكانيِّ المُسْتَعْلَى عليه؛ إذ هو مظنة الاضطراب في نفسه؛ إذا كان سيره على الماء، والإزلاق لمن هو عليه.

ثانيًا: في قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾(٦).

- موضع التضمين: (فاسأل به).

مدار الأمر في تقدير التضمين في الجار -(الباء) في به- في الآية الكريمة عائدٌ إلى مرجع الضمير (الهاء) في (به)، فإنْ كان مرجع الضمير (الهاء) عائدًا إلى السموات والأرض والاستواء على العرش فإنَّ الباء هنا بمعنى (عن)(٧)، و (اسأل) بمعنى (استْخبِرْ)؛ وذلك أنَّ العرب تقول:

(١) سورة النساء، آية: ١٥٤.

(٢) ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م)، ١-٣٢١.

(٣) رأي اجتهادي، والله أعلم.

(٤) سورة طه، آية: ٧١.

(٥) ينظر: المرادي، الجنى الداني، ٢٥١.

(٦) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

(٧) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٦-٦١٥.

سألتُ عنه رجلًا بصيرًا بعواقب الأمور، ولا تقول: سألتُ به....[1]. وعليه فإنَّ تقدير المعنى: فاستخبر عن خلق السموات والأرض والاستواء على العرش العلماءَ ذوي الخبر من خلقه[2]. فهو كقوله سبحانه: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[3]. وقول الشاعر [4]:

فإنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيْبُ.

وأمَّا إنْ كان مرجع الضمير في (به) عائدًا إلى الذات الإلهية (الرحمن) فإنَّ الباء هنا على وجهها، وإنَّما وقع التضمين في الفعل (اِسأل) إمَّا بإشرابه معنى (اُدع)، أي: اُدعُ الرحمن[5] كما في قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[6]؛ فالسؤال هنا استعطاء[7]. و (خبيرًا) منصوبٌ في جواب الطلب على تقدير: الرحمنُ فادعُ به، فإنك إنْ تَدْعُ به تَدعُ به خبيرًا. ويكون تضمين (اسأل) هنا معنى (اُدع) قد أفاد الدلالة على الهيئة المطلوبة في السؤال (الحال)، فإنما هي هيئة الدَّاعي الرَّاجي الخاضع المتذلِّل[8]، وذلك منضافًا إلى الدلالة الأصل (على الحدث) ؛ فالتقدير: فاسأل الرحمن داعيًا به. وإمَّا أنْ يكون (اِسال) قد أُشرب معنى (اِعتَنِ) أو (اهتمَّ) ؛ لأنَّ السُّؤال عن الشيء اهتمامٌ به واعتناءٌ به[9]. وبهذا التقدير -كذلك- يفيد التضمين الدلالة

(١) ينظر: الجوهري، الصحاح، ٢-١٢٨٩، مادة "سأل". ابن منظور، لسان العرب، ٧-٩٧، مادة "سأل".

(٢) ينظر: ابن السيد البطليوسي، الاقتضاب (بيروت: ١٩٠١م) ، ٢٤٤.

(٣) سورة المعارج، آية : ١.

(٤) علقمة الفحل. ديوان علقمة الفحل، ط١ (القاهرة: ، ١٩٣٥م) ، ٣٥ . المرادي ، الجنى الداني ، ٤١.

(٥) رأي اجتهادي ، والله أعلم.

(٦) سورة الأعراف ، آية : ١٨٠.

(٧) ينظر : ابن منظور ، مرجع سابق ، ٧-٩٧، مادة "سأل".

(٨) رأي اجتهادي، والله أعلم.

(٩) ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤١٦هـ)، ١-١٥٩.

على الهيئة في الفعل مع الدلالة على الحدث، فالمعنى: فاسأل الرحمن مهتمًّا به أو معتنيًا به. ويُصدِّق هذا التقدير قولُه -عليه الصلاة والسلام-: "واعلمْ أنَّ اللهَ لا يقبلُ الدعاءَ من قلبٍ غافل لاهٍ"(١).

والحقُّ أنَّ في القول بتضمين الباء في هذه الآية الكريمة معنى (عن) ما يعظِّم المعنى ويُجلِّله؛ فالسائل يكفيه الخبير بسؤله؛ فهو الذي يكفيه حاجته: فلا تتجه إلَّا إلى خبيرٍ لتسأله عن الأمور العظام: خلق السموات والأرض، والاستواء على العرش.

ثالثًا: في قوله – سبحانه -: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (٢).

- موضع التضمين: (أحببتُ... عن).

العلاقة بين (أحببت) و (حبَّ الخير) علاقة تقديم لتخصيص، ولذا فإنَّ (أحببت) مُضَمَّنٌ معنى (أَنَبْتُ)، أي: جعلتُ حُبَّ الخير (الخيل) بدلًا عن ذكر ربي (٣). وعلى هذا التقدير تكون (عن) بمعنى البدل (٤).

قال الشاعر (٥):

كَيْفَ تَرَانِي قَالِبًا مِجَنِّي قدْ قتَلَ اللهُ زِيَادًا عَنِّي.

ويصحُّ كون التضمين في (أحببت) لمعنى (آثرت)(٦). وعلى هذا التقدير تكون (عن) على معنى

(١) أخرجه الترمذيُّ، ح(٣٤٧٩) ، كتاب الدعوات ، باب: حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحي ، ٥ -٤٨٣.

(٢) سورة ص، آية : ٣٢.

(٣) ينظر: الزمخشري، الكشاف ، ٣-٣٧٣. المرادي ، الجنى الداني ، ٢٤٥.

(٤) ينظر : المرادي المرجع السابق.

(٥) الفرزدق. ديوان الفرزدق، (بيروت: دار صادر)، ٨٨١. ابن هشام، مغني اللبيب ، ١ -١٦٨.

(٦) ينظر : الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، ٤ -٢٤٨.

(على)؛ إذْ هو ما يتعدَّى به (آثر) الدالُّ على تفضيل شيءٍ على آخر[١]. قال سبحانه: ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٢]. [٣].

كما يصحُّ أنْ يكون التضمين في (أحببتُ) لمعنى (لزمتُ)، من قولهم: أحبَّ البعيرُ. إذا بَرَك مِن الإعياء أو سَقَطَ من التعب[٤]. قال الشاعر[٥]:

حُلْتَ عليه بالقَفيل ضَرْبًا ضَرْبَ بَعيرِ السُّوءِ إذْ أَحَبَّا.

وعلى هذا فإنَّ المعنى في الآية الكريمة: قعدتُ أو عييت عن ذكر ربِّي[٦]. حكايةً لقول سليمان – عليه السلام– متلوِّمًا نفسه لما شغله إعداد الخيل للجهاد في سبيل الله عن الصلاة الوسطى [٧].

المحور الثاني : التضمين المؤثِّر على المعنى دون الإعراب في العوامل (الأفعال).

– في قوله – سبحانه –: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٨].

---

(١) ينظر: المرادي ، مرجع السابق ، ٢٤٦ . أبو عبيد الهروي ، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق: أحمد الزيدي، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ)، ٢-٣٩٥.

(٢) سورة الحشر ، آية : ٩.

(٣) ينظر : الزركشي البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد إبراهيم ٠بيروت: دار المعرفة) ، ٤-٢٨٦.

(٤) ينظر : ابن منظور ، مرجع سابق ، ٤-٨ ، مادة "حبب" .

(٥) أبو محمد الفقعسي . ابن منظور ، المرجع السابق.

(٦) ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ٧-٣٩٦. سليمان الجمل ، الفتوحات الإلهية توضيح تفسير الجلالين لدقائق خفية، (دار الفكر)، ٣-٣٧٥.

(٧) تنظر : المراجع السابقة.

(٨) سورة القصص، آية : ٧٩.

الأصل في الفعل (خرج) أنَّه يتعدَّى بـ (من) ؛ لما يفيده من معنى المجاوزة ؛ ذلك أنَّ الخروج تجاوز عن حيِّز الكينونة إلى غيره(١). قال سبحانه: ﴿ يوْم يخْرُجُون مِن الْأَجْداثِ سِراعًا﴾(٢). وقال سبحانه: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾(٣).

غير أنَّ (خرج) هنا لم يتعدى بـ (من) وإنَّما عُدِّي بـ (على)، ما يدلُّ على مَجيئه مضمنًا معنى لفظٍ آخر هو (ظهر) الذي يتعدَّى بـ (على)(٤). قال سبحانه: ﴿وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُون﴾(٥). وقال عزَّ وجلَّ: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾(٦). وقد جاءت تعدية (خرج) بـ (على) لَمَّا كانت الغاية من المُورد وصفَ كيفيَّةِ الحدث (الظهور متعاليًا) لا الإخبار المجرَّد بالحدث ذاته (الخروج). دلَّ على هذا تعلُّق شبه الجملة (الجار والمجرور في زينته) بمحذوف حال يقدَّر بـ متعاليًا متغطرسًا(٧). وقد كان خروج قارون (المقصود بالسياق) هو وأصحابه على خيلهم، وعلى الخيل الأُرْجُوَان، وعليه وعليهم الدِّيباج الأحمر(٨).

ويجوز أنْ يكون المراد بـ (خرج على قومه) من قولهم، خرج الأمير على الوالي بمعنى عصاه

(١) ينظر: الجوهري، الصحاح ، ١-٢٨٧ ، مادة "خرج" . أبو البقاء، الكفوي ، الكليات ، ط ٢(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ه)، ٤٣٢ .

(٢) سورة المعارج ، آية : ٤٣ .

(٣) سورة القصص ، آية : ٢١ .

(٤) ينظر : أبن منظور ، اللسان ، ٩-٢٠٠ ، مادة "ظهر".

(٥) سورة : الزخرف ، آية : ٣٣.

(٦) سورة التوبة ، آية : ٨.

(٧) تنظر : ابن جني ، الخصائص ، ٢-٣١٤. الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه، ٤-١١٧ .

(٨) ينظر : الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، ٤-١١٧ .

متعاليًا على أوامره[1]. فالفعل (خرج) قد تضمَّن معاني العصيان والتعالي منضافةً إلى معناه الأصل (النفوذ من حيِّزٍ لآخر).

وأيًّا كان تقدير المضمن في (خرج) فإنَّه قد أفاد تضاعف المعنى وتوسُّعه.

المحور الثالث: التضمين المؤثِّر على المعنى دون الإعراب في المعمولات العاملة وما تعلَّق بها من الحروف.

أوَّلًا: في قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2].

- موضع التضمين (أذلة على).

(أذِلة) جمع (ذليل) من مادة (ذلل) بمعنى لان. تقول العرب: ذلَّ له فلم يَصْعُب عليه[3]، وفي الحديث: "أدعوك دعاء من ذلَّت لك رقبته"[4]، فهذه المادَّة -أي ذلل- إنَّما تتعلق بها اللام من حروف الجر إلا أنْ يُشرب اللفظ المشتمل عليها أو المضُمَّن لها أو المشتق منها معنى مادة لفظ آخر فتتعلَّق به غير اللام من حروف الجر[5]. وقد تعلقت به (على) في الآية الكريمة لَمَّا ضُمِّن معنى الحنوِّ والعطف، فتقدير المعنى: عاطفين أو حانين على المؤمنين [6].

وقد ناسب تعدِّي لفظ أذلَّة بـ (على) ما أُريد بسياق الآية منْ إعلاءٍ لشأن المؤمنين -الذين

---

(١) ينظر: فاضل، التضمين، ٣٠٩.

(٢) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٦-٤١، مادة "ذلل".

(٤) ابن قدامة المقدسي، المغني تحقيق: عبد الفتاح الحلو (الرياض: دار عالم الكتب)، ح(١٢١)، ٩-١٦٢

(٥) ينظر: ابن منظور، مرجع سابق، ٦-٤١، مادة "ذلل". ينظر: الجوهري، الصحاح، ٢-١٢٧٦، مادة "ذلل".

(٦) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ١-٦٤٨.

يحبُّهم الله ويحبُّونه- على كلِّ حالٍ ومع كلِّ فئةٍ؛ فهم للمؤمنين أعزةٌ بذلَّتهم لهم (لينهم لهم) وعطفِهِم وحُنُوِّهم عليهم، وعلى الكافرين أعزة بعدم مهادنتهم لهم في دينهم(١). قال – سبحانه- مخاطبًا عباده المؤمنين : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢). فـ (أذلة) قد أشرب معنى (أعزَّة)، ولكنها العزَّة الخاصَّة بحقِّ المؤمنين على المؤمنين، من التراحم والتواضع والتواصل والتكافل(٣).

ويجوز أنْ يكون (أذلة) على معناه، والتضمين واقعٌ في الحرف (على) بتضمُّنه معنى اللام، فالمعنى: أذلة للمؤمنين(٤). وقد أفادت (على) بتضمُّنها معنى (اللام) الدلالة على الغائيَّة(٥)؛ فذلُّ المؤمنين لإخوانهم المؤمنين إنَّما هو من أجلهم.

ثانيًا: في قوله – سبحانه –: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٦).

- موضع التضمين (حفيٌّ عنها).

تقول العرب: حَفِي فلانٌ بأمر فلانٍ إذا اعتنى به عنايةً بالغةً، وتقول: صار فلانٌ حفيًّا إذا صار عالمًا مستقصيًا، وتقول: فلانٌ بي حَفِيٌّ إذا كان به معنيًّا(٧). فمادة (حَفِي) وما يشتمل عليها من

(١) ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ٣-٥٢٤.

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٣٩.

(٣) ينظر: الهروي ، الغريبين في القرآن والحديث، ٢-٦٨٠.

(٤) ينظر : المرادي ، الجنى الداني ، ٤٨٠.

(٥) المرجع السابق .

(٦) سورة الأعراف ، آية : ١٨٧.

(٧) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٤-١٧٢ و ١٧٣ ، مادة "حنا" .

ألفاظ إنمَّا تتعلَّق بها الباء إذا جاءت بمعنى الاعتناء العظيم بالشيء أو العلم المستقصي بالشيء، غير أنَّ (حَفِيّ) في هذه الآية الكريمة قد تعلَّق به (عن) لَمَّا أُشْرِب معنى المبالغة في السؤال، فتقدير المعنى: كأنك أكثرت المسألة عنها[١]. ومثل هذا الاستعمال ما جاء في قول الشاعر[٢]:

فَإِنْ تَسْأَلِيْ عَنِّي فيَارُبَّ سَائِلٍ حَفِيٌّ عَن الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا.

أي: كثير السؤال أو مبالغ في السؤال عن الأعشى[٣]. فمادَّة (سأل) هي التي تتعلق بها (عن)، فلما أُشْرِبها لفظ (حَفِيّ) تعلَّق به ما يتعلَّق بها في العادة[٤]. وقد جاء التعبير بها للدلالة على السؤال منضافةً إلى الدلالة على المبالغة فيه وشدَّة العناية به.

وذلك بعد التصريح بلفظ السؤال في : (يسألونك عن)، (يسألونك كأنك)[٥].

ويجوز أن يكون التضمين واقعًا في (عن)، بأن جاءت هنا بمعنى (الباء) كما في قول الشاعر[٦]:

فإنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي خَبِيرٌ بأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيْبُ.

أي: عن النسَاء. فالمعنى: كأنَّك شديد العناية بها[٧].

(١) ينظر : العكبري ، التبيان في إعراب القرآن ، ١-٦٠٦.

(٢) الأعشى، ديوان الأعشى (بيروت: دار صادر ، ١٤١٤هـ) ، ٤٥ . ابن منظور، المرجع السابق ، ٤-١٧٣ ، مادة "حفا".

(٣) ينظر : المرجع السابق.

(٤) ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ٤-٥٥١.

(٥) ينظر: الزمخشري ، الكشاف ، ١٧٣ و ١٧٤.

(٦) علقمة ، ديوان علقمة الفحل ، ٣٥ . المرادي ، الجنى الداني ، ٤١.

(٧) ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ٤-٥٥١.

الخاتمة:

مما أُورِد في هذا البحث المُجْرَى في موضع التضمين وأثره على المعنى والإعراب معًا أو على المعنى دون الإعراب يتبين أنَّه قد كان للقول بالتضمين دواعيه التي آذنت بالبحث فيه موضوعًا له قواعده وأُطُرُه.

كما تبين أنَّ مفهوم التضمين قد اختلف لدى علماء العربية بحسب ما تناولوه فيه من علومها؛ فهناك التضمين اللغوي، والتضمين البلاغيُّ، والتضمين النحويُّ.

كما أنَّه يتبيَّن أنَّ التضمين يقع في العوامل (الأفعال) وما تعلق بها من حروف الجر، وهو كثير، كما أنَّه يقع في العوامل فحسب، وهو أقل من سابقه. كما أنَّ التضمين يقع في المعمولات العاملة (الأسماء العاملة) كالمصادر، وأسماء المبالغة.

كما يتضح أنَّ وقوع التضمين في أنواع الكلم الثلاثة هو الباب الذي يُدْخل منه إلى القول بالاشتراك اللغوي؛ فما المشتركات اللغويَّة إلا ألفاظًا مضمنةً لمعاني ألفاظٍ أُخر.

وأخيرًا يتبيَّن أنَّ التضمين بابٌ عظيمٌ من أبواب الإعجاز اللغوي والتركيبي في القرآن الكريم، له أنواره وظلاله المعنوية والتفريعية.

فهرس المراجع والمصادر

- الأعشى، ديوان الأعشى (١٤١٤هـ) بيروت: دار صادر.
- الألوسي، شهاب الدين (٢٠٠٥م) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: السيد السيد، وسيد عمران. القاهرة: دار الحديث.
- الأندلسي، أبو حيان (٢٠٠٢م) تفسير البحر المحيط، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الأنصاري، ابن هشام (١٤٢٧هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد عبد الحميد، بيروت : المكتبة العصرية.
- البروسوي، إسماعيل حقي، روح البيان، بيروت: دار الفكر.
- البطليوسي، ابن السيد (١٩٠١م) الاقتضاب، بيروت.
- الترمذي، محمد (١٤٠٨هـ) سنن الترمذي، تحقيق: كمال الحوت، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجرجاني، عبد القاهر (١٩٨٤م) دلائل الإعجاز، بيروت : دار المعرفة.
- الجرجاني، عبد القاهر (١٩٨٨م) أسرار البلاغة، ط١، بيروت: دار المعرفة.
- الجمل، سليمان، الفتوحات الإلهية توضيح تفسير الجلالين لدقائق الخفية، دار الفكر.
- ابن جني، عثمان (١٩٩٠م) الخصائص، تحقيق: محمد النجار، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- الجوهري، إسماعيل (١٤٢٨هـ) الصحاح، تحقيق: شهاب الدين أبو عمر، بيروت دار الفكر.
- حامد، أحمد (١٤٢٢هـ) التضمين في العربية، عمان: دار الشروق.
- الحلبي، شهاب الدين (١٤١٤هـ) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: علي

معوض وآخرين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الزجاج (٢٠٠٦م) معاني القرآن وإعرابه، بيروت: المكتبة العصرية.
- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، بيروت: دار المعرفة.
- الزمخشري، محمود (٢٠٠٦م) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي.
- السيوطي، جلال الدين (١٤١٦هـ) الإتقان في علوم القرآن، بيروت: دار إحياء العلوم.
- السيوطي، جلال الدين (٢٠٠٩م) الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: محمد الفاضلي، بيروت: المكتبة العصرية.
- الصبَّان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، القاهرة: دار إحياء التراث العربي.
- العكبري (٢٠١٠م) التبيان في إعراب القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية.
- العكبري (١٤١٧هـ) إعراب القراءات الشواذ، تحقيق: محمد عزوز، ط١، بيروت: عالم الكتب.
- علقمة الفحل (١٩٣٥م) ديوان علقمة الفحل، ط١، القاهرة.
- فاضل، محمد (١٤٢٦هـ) التضمين النحوي في القرآن الكريم، المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، الجمل في النحو، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الفرزدق، ديوان الفرزدق، بيروت: دار صادر.
- الكفوي، أبو البقاء (١٤١٩م) الكليات، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- المرادي، الحسن (١٤١٣هـ) الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد فاضل، بيروت: دار الكتب العلمية.

- المقدسي، ابن قدامة، المغني، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الرياض: دار عالم الكتب.
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- النحاس، أبو جعفر (٢٠٠٧م) إعراب القرآن، تحقيق: محمد تامر وآخرين، القاهرة: دار الحديث.
- الهروي، أبو عبيد (١٤١٩هـ) الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق: أحمد الزيدي، بيروت: المكتبة العصرية.